Cordova Journal / *Jurnal kajian Bahasa dan Budaya*
terbit 2 kali setahun
Vol. 12, No. 1, 2022
https://journal.uinmataram.ac.id/index.php/cordova/index

Al Mustawa al Mu'Jami fi Qosīdat Irshad al ummah ila ilāj al Gummah: Dirāsatun Tahliliyyatun Dalāliyyah

Abdur-Rasheed Mahmoud-Mukadam, Abdul Rafi'i Isa Abiodun
Department of Arabic, University of Ilorin, Ilorin, Nigeria
mukadam.am@unilorin.edu.ng

ملخص:

يظهر جليا أن الشعر في التراث العربي النيجيري يتبوأ مكانة عالية، وللشعراء في هذه المنطقة أشعار في شتى الأغراض مثل المدح والوصف والرثاء والغزل وغيرها. ويمثل المستوى المعجمي ركنا أساسا في الدراسة الأدبية؛ إذ تحتاج معرفة الخطاب الشعري إلى القبض على دلالته ورصد شبكة العلاقات المتداخلة التي تكون جمالياته. فهذه الورقة تهدف بإلقاء الضوء على المستوى المعجمي في هذه القصيدة "إرشاد الأمة إلى علاج الغمة" للشاعر عبد الله جبريل سليمان؛ إلى الوقوف على مدى توفيق الشاعر في اختيار ألفاظ هذه القصيدة وانتقاء دلالتها المناسبة؛ وذلك من خلال الكشف عن المستويات المعجمية في القصيدة ومحاورها الأساسية, ومركّزاً على الوسائل المعجمية لهذا النص الشعري وهي: التكرار، والترادف، والمصاحبة اللغوية مع التحليل اللغوي الدلالي، وما يراعى من أفكاروتعبيرات ومواصفات يتحقق فيها رؤية المعجم والقاموس.

الكلمات المفتاحية: المستوى المعجمي، قصيدة، إرشاد الأمة، دراسة تحليلية دلالية

مقدمة

ظل الباحثون المعاصرون يبذلون جهودا كبيرة في البحث حول دراسة النصوص نثرا كان أوشعرا بمستوياتها اللغوية المختلفة منها: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، وهذه الورقة تدرس المستوى المعجمي في شعر عبد الله جبريل سليمان الاجتماعي: إرشاد الأمة إلى علاج الغمة.

يهدف هذا المقال - بهذه الدراسة- إلى الكشف عما يكتنف هذا النص الشعري من تناسب وتوافق في انتقاء الألفاظ لأداء المعنى الرائع المناسب؛ وتحل - بهذا الصنيع- بعض المشكلات التي تواجه النص الشعري وغيره من الفنون الأدبية من الاستعمال العشوائي للألفاظ، ووضع بعضها مكان بعض آخر فتضعف -نتيجة ذلك- البنية التعبيرية، وتدهور روعة المعاني من الاختلال الحاصل في عدم مراعاة تقنية المستوى المعجمي التي تعطي الألفاظ روعة وجمالا وتكسب المعاني قوة وبهاء، كما تنحل مشكلة تأثير السياق في تحديد المعنى أو تغيير مجرى معاني الألفاظ في ثنايا التعبير.

وتتوخى هذه الدراسة المنهج التحليلي قصدا للوصول إلى بعض الحقائق اللغوية التي قد يرتفع بها قيمة النص الشعري الذي نحن في صدد دراسته. ويتحقق ذلك بتعريف عن مفهوم المستوى المعجمي بعد المقدمة والنبذة اليسيرة عن حياة الشاعر ومكوناته العلمية ومعطيات شاعريته، ثم عرض نص القصيدة مشفوعة بدراستها وتحليلها تحليلاً معجميا دلاليا.

مفهوم المستوى المعجمي:

المقصود به هو المستوى الذي جرده صنعة المعاجم من بين المنتج الكلامي المحصل من قبل علماء اللغة ورواتها، وهو ترجيح من خلال سياقات متعددة وردت فيها اللفظة، غير أنه

ترجيح من غير مرجح؛ لأنه لا مسوغ لتغليب معنى على آخر من غير شاهد من تاريخ الممارسة اللغوية، التي لم يزامنها التأليف. أما المستوى المعجمي فيمكن دراسة الجملة والنص اللغوي عن طريق تحليل معنى الكلمات وتصنيفها، والكشف عن العلاقات الدلالية بين الكلمات في الحقل الدلالي.[1]

والمستوى المعجمي: هو مجموعة الشفرات والإشارات والعلامات اللغوية، التي تشكل بنية نص ما تشكيلا جديدا من خلال سياق يشحن هذه الألفاظ المعجمية بمجموعة من الدلالات السياقية، التي يتفرد بها النص الشعري، وهي التي تشكّل حقوله الدلالية، وتعد البنى الصغرى لبنية النص الكبرى (المضمون الإجمالي للنص أو كليته ووحدته). ولهذا يعرف ليونس (Lyons) معنى الكلمة بقوله: "هي محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي". وحتى نتمكن من الإحاطة بالبنية المعجمية للقصيدة، لابد من جمع كلّ الوحدات وتصنيفها ضمن حقول دلالية؛ للكشف عن علاقتها بالمحور الدلالي للقصيدة، والحقل الدلالي أو الحقل المعجمي " هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها".[2]

نبذة يسيرة عن حياة الشاعر ومكوناته العلمية

ولد الشاعر عبد الله جبريل سليمان في بيت القاضي صوكوتو (Ile Alikali Sokoto) بحارة ثاني أوكن (Sanni Okin) بمنطقة أغاكا، إلورن, عام 1980. ونشأ وترعرع في هذه البيئة العلمية.

أخذ القرآن الكريم سردا عن الإمام ناصر الدين بن يوسف – صاحب عصا المعجزة – ثم التحق بمدرسة إخوان نصر الدين الابتدائية الحكومية كنتو، إلورن. ثم واصل دراسته العربية والإسلامية بمدرسة الزمرة الأدبية الكمالية، أوكيكيري، إلورن؛ حيث حصل على شهادتي الإعدادية والثانوية بتقدير ممتاز عام 1995 – 1999 م على التوالي.

ثم قام بعملية التدريس في المدرسة نفسها بين عام 1999 وعام 2003 م، ثم التحق بكلية التربية لولاية كوارا، إلورن حيث حصل على دبلوم التربية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام 2002، كما حصل على الليسانس والماجستير في اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة بايرو، كنو عام 2007 م بتقدير "جيد جدا" بمرتبة الشرف الأول. حصل على الجائزة الأولى في مسابقة شعرية نظمتها جميعة طلاب اللغة العربية في نفس الجامعة عام 2006 م، عمل مدرّسا في مدارس كثيرة، منها كلية مصطفى عمر الكانمي بولاية برنو، كلية الحنان العاليمة بكنو، ومدرسة كارو الثانوية الحكومية بأبوجا. وهو حاليا موظف بهيئة التعليم الأساسي العام أبوجا: (Universal Basic Education Commission UBEC, Abuja) شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية، وللشاعر إنتاج كثير منه: ديوان التحفة الكمالية في الأشعار المثالية عام 2003 م، وأبرغدوما الشاعر الجليل 2021م، وكتاب "الكماليات" الذي جمع أشعار نخبة بعض الشعراء النيجريين؛ مدحًا ورثاء، من ضمنها عدة من أشعاره، كما له مؤلفات ومقالات عديدة تحت الطبع مثل: ديوان "الفلانيات"، وكتاب "وكان أبوهما صالحا"...[2]

ولعل هذا كله، أضاف بلا أدنى شك إلى تجاربه الإبداعية، وثقافته الشعرية, وأعماله الفكرية:

يعد الشاعر عبد الله جبريل سليمان بموهبته الشعرية من الشعراء المرموقين، وشخصية من شخصيات الشعر العربي البارزين، وهو شاعر مرهف الحس، بصير بجيد الإنتاج ورديئه. ينظم أشعاره في أغراض شتى، ويتعاطى في شعره قضايا إسلامية ولغوية واجتماعية على السواء. ومن قصائده: قصيدة المديح بعنوان "وإنك لعلى خلق عظيم"؛ تتكون هذه القصيدة من سبعة عشر بيتا، ومطلعها:

أعظم بمن خصّه مولاي بالنعم ** وكان سيد خالق الله ذا الهمـم

هو النبي الذي لولاه ما خلقت ** كلّ الخلائق وهو البدر في الظلم

وقصيدة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهي قصيدة في واحد وثلاثين بيتا، ومطلعها:

حبيب الله أحمد طاب طينا ** كذا نسبا سراج المتقينا

إمام الخلق يا لك من إمام ** ومنقذنا شفيع المذنبينا

قديصقو "فمن هو الوابل"؟؛ وهي قصيدة في عشرين بيتا، ومطلعها:

إذا رمت أن أثني على علم الهدى ** تحيّر أفكاري به متبلّـدا

وماذا أقول في مديحة مصطفى ** نبي عظيم جل قدرا وسؤددا

وقصيدة إمام الهداة؛ وهي قصيدة في أربعة وعشرين بيتا، ومطلعها:

أكرم بشيخي تاج العلم والأدب ** فإنه منقذ من جهل والعطب

يدعو إلى الفوز في سر وجهرته ** بخشية الله لا يخشى من النصب

وله قصائد في الزهد والتقليل من طلب الدنيا، منها : قصيدته الدنيا دار غرور وعناء وفناء؛ وهي قصيدة في خمسة عشر بيتا، ومطلعها:

تبارك ربي لا انتهاء لـذاته ** وكل امرئ حتما يموت بأمره

وكن ذاكرا للموت في الصبح والمسا ** وروعة ملقاه وسدة قبضه

قديصقو "كل نفس دائقة الموت" في أحد عشر بيتا، ومطلعها:

أرى الموت هدام اللذات بمرية ** يبدد خيرات بأسرع لحظة

تذكرت خير العالمين محمدا ** وما كان في يوم أصيب بموتة

نلو نعبه تديصقك لذ نمو :ةيعامتجا اياضقي فدئاصقه لو "حقوق الزوجين"؛ وهي قصيدة في تسعة عشر بيتا، ومطلعها:

هنيئا للذي بدر التمام ** أتاه زمان عرسه بالسلام

هنيئا للعريس مع السرور ** مريئا للعروسة بالدوام

ومن قصائده في استقبال رمضان والتنويه بفضله قصيدته بعنوان "شهر رمضان شهر القرآن والغفران؛ وهي في خمسة وعشرين بيتا، ومطلعها:

يا عاصيا ربه الأعلى بكفران ** يلهو ويلعب في الدنيا بطغيان

سيدي ويلحم في العصيان مرتكبا ** لا يتقي الله منشى الخلق ذا الشان

ەتديصق ەتايژ مـنمو "مجمع البحرين في رثاء القمرين"؛ وهي في ثلاثين بيتا، ومطلعها:

بدأت ببسم الله معطي الفضائل ** لمن شاء من مخلوقه بالدلائل

أصلي صلاة للنبي محمد ** شفيع الورى المختار زين المحافل

عرض نص القصيدة "إرشاد الأمة إلى علاج الغمة"

1- دموع من الأحزان فيما يهدّم ** لجارية، هل في الأنام مقوّم؟

2- تزلزل دين الله فينا وكلّنا ** نيامٌ كأن لم يبق فينا معظّم

3- بدا ديننا الإسلام في حين ظلمةٍ ** غريبا، لذا كلّ يعزّوينعم

4- فسوف يعود الدّين بعد تمامه ** غريبا، فطوبى للّذي كان يسلم

5- أيا أمة الإسلام مالي أراكم ** رقودا، وأعداء السّلام تهجم

6- ألا انتبهوا يا قومنا إن نومكم ** طويل ثقيل ناقض ثم يهدم

7- ويا استيقظوا ياقومنا في ورائكم ** أعادٍ يرون الحرب سيفا يصرّم

8- أحاطت بنا الأعداء من كلّ جانب ** وكلّ جبان لا يرى من يقدّم

9- لماذا نظنّ الدّين دينا بلا عنا؟ ** ونلهو ولم نسلك طريقا تنظم

10- ولن يبلغ المقصود عبدٌ يرى المفا ** زشيئا محوزا بالهنا ثمّ يغنم

11- لقد قاتل الكفّار طبّي محمدٌ ** وأصحابه بل أهله من يكرّم

12- وقد شجّه قومٌ لعينٌ فعذبوا ** ولم يخش إلاّ الله ، ربٌّ يعظّم

13- ألا فاذكرو بدرًا وأحدًا وخندقًا ** حُنينا كذا الغزوات كي تتفهموا

14- وهل فوّضوالإسلام لله ذي الجلا ** ل أم نصروا الدّين القويم وقوّموا

15- أرانا إلى سبل الغواية نسرع ** ونترك سبل الرشد لسنا نقوّم

16- إذا ما رأينا من يقيم سريعة السْ** سلام رأينا خلفة من يهدم

17- ومن قام فينا مصلحا ثمّ يرشد ** إلى الخير عادوه عداء ليظلموا

18-وصارلنا الإضرارو الجور مكسبا ** متى نرعوى عن كلّ شيءٍ يحرّم

19- وألقاب سوء أصبحت تتنشّر** ألم ندرأنّ الاسم يخزي ويعظم

20- يمينًا شمالاً ثمّ فوقًا وتحتنا ** أحاطت بنا الأعداءُ هذا لمؤلم

21- أرى الهود ذئبا والنصارى كحيّة ** ونحن سكارى نوّمٌ, كيف نعلم؟

22- وتُجني لنا المرّ اليهودُ بحولها ** وقد أنشبت أظفارها ثمّ تغشُم

23- لقد واجهونا بالقتال وأصبحوا ** يزيلون كلّ الأمن، والحبلَ صرموا

24- وقد خوّفوا أهل السّلام بجورهم ** ويلقون فيهم قنبُلاتٍ تجذّم

25- ثمارسلامٍ أصبحت تتساقط ** فأمست ثمار الخوف، قومي تعلّموا

26- أرادت بنا الأعداء شرًّا، وربّنا ** يريد بنا الخيرات فيما يعمّم

27- ونحن كثيرٌلا مراء,وإنّهم ** قليلٌ إذا ما عدّنا كيف نُسلم؟

28- تخذناهمُ ظهرًا وحصنا وملجأ ** وهل في الأعادي ما يرام ومغنَم؟

29- نبال النصارى لا تزال تصيبنا ** ومن ذا يَحلّ العقد أو من ينظّم؟

30- وسُبحتنا صارت لهم زينةً كذا ** ملابسنا، هذا لحُزن يحطّم

31- أتتنا يهودٌ والنصارى بشرّهم ** أتونا بجمرٍليس تمرًا لتعلموا

32- أتونا بشيءٍ وهو روثٌ مفضضٌ ** وأغوَوْا كثير الناس ثمّ تنعّموا

33- أتونا بقنضامٍ لتحديد نسلنا ** وقنضام هذا فيه حينٌ ومغرم

34- وقنضام هذا لا يعادل عزلَنا ** ولكنّه للمذنبين يعظّم

35- نتيجة بحثٍ قد أذاعت شريرَه ** منيّ الفتى يُمسِي ضعيفًا تفهّموا[3]

دراسة المستوى المعجمي في القصيدة:

يلاحظ الباحث من خلال الحقول الدلالية في القصيدة، التي يقوم بجردها الشعور بالعواطف والانفعالات التي أدت بشاعرنا إلى هذا الإبداع الفكري، الذي تتحكم فيه غريزته التي ترقى إلى دراسة مستويات النصّ.

يتألف هذا النصّ الشعري من خمسة وثلاثين بيتا، تتوزع ألفاظه كما يلي: الأسماء 117, منها 52 اسما نكرة و 66 اسما معرفة, والأفعال 98 فعلا, منها 37 فعلا ماضيا, 57 فعلا مضارعا, 4 فعلا أمرا, والقراءة الإحصائية تثبت هيمنة الاسم على الفعل والمعرفة على النكرة، كما اكتشف الباحث هيمنة الأفعال الماضية والمضارعة على الأمر؛ وذلك ليؤكد الشاعر أن التجربة التي مرّعليها يقينية، وأنه استخدم هذه الأسماء والأفعال لتنبيه إخوانه المسلمين على مشاركته في هذه المشاعر، هو سبب إشارته إلى حالة الأمة الراهنة تجاه هذا الدين الحنيف.

فشأن شاعرنا عبد الله جبريل سليمان هنا شأن شاعر مصري، البارودي الذي عاش في قلق شديد؛ حيث الظلم والظلام يعمان أرض مصر وسمائها، وحيث يرى الشاعر أن لا علاج لذلك إلا الثورة بيضاء أو حمراء؛ لأنها هي التي ستقتلع أسس الفساد والاستعباد من أرض مصر. من قوله:

أنا لا أقرّعلى القبيح مهابة ** إنّ القرارعلى القبيح نفاق

لم يسكت البارودي؛ لأنه كان يرى أن السكوت على الباطل جبن ونفاق، وأن الرضا بالظلم والفساد ذلّة ورياء، وعدم الانتصارللحق عاروهوان. يقول أيضا:

- فلا رحم الله امرأ باع دينه ** بدنيا سواه وهو للحقّ وامق

- فإن نافق الأقوام في الدين حسة ** فإني بحمد الله غير منافق
- على أنني لم آل نصحا لمعشر** أبى غدرهم أن يقبلوا قول صادق
- ولكنني ناديت بالعدل طالبا ** رضا الله واستنهضت أهل الحقائق
- أمرت بمعروف وأنكرت منكرا ** وذلك حكم في رقاب الخلائق
- وكيف يكون المرء حرا مهذبا ** ويرضى بما يأتي به كلّ فاسق[4]

كذلك يظهر لنا الشاعر عبد الله جبريل سليمان موهبته الشعرية، ونجابته الإبداعية، وشخصيته الأدبية، وحركاته الفكرية؛ في إبراز شعوره وإحساسه لهذا الدين الحنيف، ذلك بسبب إشاعة فساد وفاحشة غير المسليمين وعدم المبالاة من قبل المسلمين، ويصوغ شعره بهذه الصياغة الجملية قائلا:

دموع من الأحزان فيما يهدّم ** لجارية، هل في الأنام مقوّم

تزلزل دين الله فينا وكلّنا ** نيامٌ كأن لم يبق فينا معظّم

نقف هنا وقفة قصيرة على كلمة "دموع" مفردها الدمع، ويجمع على أدمع أيضا. والدمع: ماء العين. والقطرة منه دمعة. ودمَعت العين ودمِعت تدمع, فهما, دمعًا ودمعانا وقيل دمِعت دمعًا، وامرة دمعة ودميعٌ، كلتاهما: سريع البكاء.[5]

فبهذه الصورة العجيبة، والعبارة الجميلة، يعبّر الشاعر عبد الله جبريل سليمان عن حالة العيون في إفاضة دموعها وسيلان ميائها بسبب ما تحمله القلوب من الأحزان والهموم؛ لأن القلب عندما يحزن قد يؤدي هذا الحزن إلى أن تدمع العين. قال رسولنا الكريم في صفة حاله عند وفاة ابن له: إن القلب ليحزن، والعين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضى ربنا...

فقد صور مثل هذا امرؤ القيس عند ذكرى حبيبته:

ففاضت دموع العين مني صبابة ** على النحر حتى بل دمعي محملي

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ** بسهميك في أعشار قلبٍ مقتّل

ولا يزال القلب على هذه الحالة القلقية، والشعور الجزعي، والإحساس بالحزن التي يمكن أن تكون نتيجتها الدمع من العين. فقال: هل يوجد مقوّم؟: من الذي يقوم بإرشاد الأمة إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وأخراهم.

استمر الشاعر بهذا الإحساس القوي، واستخدم كلمة "تزلزل" أي اضطرب بالزلزلة. عدم الثبات والاستقرار والانقياد بأوامر الله سبحانه وتعالى والاجتناب بنواهيه، التي هي صفة خلقية لهذا الدين الحنيف.

والزّلزلة والزّلزال: تحريك الشيئ ، وقد زلزله زلزلةً زلزالاً, وقد قالوا إنّ الفَعْلال والفِعْلال مطرد في جميع مصادر المضاعف, والاسم الزِّلزال, وزلزل الله الأرض زلزلة وزلزالاً بالكسر: إذا حركه حركة شديدة.(6)

وشبه حالة سكوت العلماء والوعاظ والأمراء بحالة النائم الذي لا يعرف شيئا عن الحياة إلا بعد تيقظه؛ ذلك لعدم قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم مبالاتهم بما يقوم به أعداء الإسلام في إشاعة الفاحشة في دين الله. قال جل شأنه:

"إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة" (النور 19).

فذكر الشاعر حالة الحياة قبل مجيء الإسلام، وبعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأنها ظلمة: قائلا:

- بدا ديننا الإسلام في حين ظلمةٍ ** غريبا، لذا كلّ يعزّوينعم

- فسوف يعود الدّين بعد تمامه ** غريبا، فطوبى للّذي كان يسلم

فبهذين البيتين نتعرف على حالة العصر الجاهلي من عبادة الأوزان والأصنام، وعدم معرفة خالقهم؛ فالظلمة يقابلها النور.

فصاغ شعره اقتباسا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم (145) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء).

الغريب: البعيد من الوطن أي لقلة أهله، بقلة من يقوم به ويعين عليه وإن كان أهله كثيرا. فكلمة طوبى (فطوبى للغرباء): القائمين بأمره، و"طوبى" تفسر بالجنة وبشجر عظيمة فيها

- أيا أمة الاسلام مالي أراكم ** رقودا، وأعداء السلام تهجم
- ألا انتبهوا يا قومنا إن نومكم ** طويل ثقيل ناقض ثمّ يهدم
- ويا استيقطوا يا قومنا في ورائكم ** أعاد يرون الحرب سيفا يهرم
- أحاطت بنا الأعداء من كل جانب *** وكل جبان لا يرى من يقدم

ففي الأبيات الأربعة كلها ينبّه الشاعر فيها عن رقود المسلمين، ويحرّضهم على القيام من نومهم الغطيط , بقوله: مالي أراكم رقودا.

رقد: رقودا، ورقادا أي نام. ويقال: رقد عن الأمر: قعد وتأخر، أو غفل. استطاع الشاعر عبد الله جبريل أن يميز بين كلمة نام التي تحمل معنى سكوت وهدوء، نام فلان نوما ونياما: اضطجع أو نعس، أما رقود قد يكون من الغفلة لعدم القيام والتحرك بما يجوز القيام به من الأمور.[7]

ويركز كلامه على حثهم وتحريضهم على هجوم الأعداء؛ وقال: وأعداء الإسلام تهجم. هجم عليه هجوما: أي دخل عليه بغتة. وهجم المكان ونحوه هجما: اقتحمه. قال تعلى: وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم. (البقرة :190)

- أرانا إلى سبل الغواية نسرع ** ونترك سبل الرشد لسنا نقوّم
- إذا ما رأينا من يقيم سريعة الس** سلام رأينا خلفة من يهدم
- ومن قام فينا مصلحا ثمّ يرشد ** إلى الخير عادوه عداء ليظلموا

- وصارلنا الإضرارالجور مكسبا ** متى نرعوى عن كل شيء يحرم

السبل جمع السبيل بمعنى الطريق؛ ومن جمال النظرفي بيان الدقة بين المادتين كلمة "السبل" التي هدته فطنته في إضافة كلمة السبل الأولى إلى الغواية التي معناها الضلال ولتحقيق معنى المقابلة أوالتضاد؛ لأن المادة تؤتي معنى السلب في الأولى، وفي الثاني تفيد إثبات منهجية الإسلام والسنة. قال تعالى شأنه: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم.(البقرة 120)

- وألقاب سوء أصبحت تنتشر** ألم ندرأن الاسم يخزي ويُعظم

اللقب: اسم وضع بعد الاسم الأول، للتعريف، أو التشريف، أو التحقير. يجمع على ألقاب. ويقال "الجار أحق بصقبه، والمرء أحق بلقبه".[8] يقول الشاعر: ألم ندر أن الاسم يخزي ويعظم؛ لأن الله جل شأنه قال: "ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان". (الحجرات: 11)

- يمينا شمالا ثم فوقا وتحتنا ** أحاط بنا الأعداء هذا المؤلم

حاط وأحاط القوم بالمكان حوطا، وحيطة، وحيطة، وحياطة: أحد قوابه، وبالأمر:أدركه من جميع نواحيه في القرآن الكريم: والله بما يعملون محيط.[9]

أرى اليهود ذئبا والنصارى كحية ** ونحن سكارى نوّمٌ، كيف نسلم؟

يتمكن الشاعرعبد الله جبريل سليمان يصور لنا أن اليهود ذئب في تصرفاتهم بخيانة دينية. "فالذنب خاليا أسد". يضرب لكل متوحد برأيه، أوبدينه، أوبسفره، فمن استرعي الذئب فقد ظلم. وحية في نفح سمها التي تسبب الضرر والألم.

نبال النصارى لا تزال تصيبنا *** ومن ذا يحل العقد أو من ينظم

تمكن الشاعر عبد الله جبريل أن يضوع حيلة النصارى وغدرهم بالإسلام، وما من يوم إلا ويكيدون كيدهم بهذا الدين الحنيف، قائلا: نبالهم لا تزال تصيب المسلمين. فالنبل: السهام، يجمع على نبال، وأنبال. ويقال: أصابه نبل الدهر: حوادثه[10].

التكرار

التكرار: من أهم الوسائل المعجمية لتحقيق مستويات النص

أما التعريف المعجمي له: إذا رجعنا إلى لسان العرب لمادة " كرر " بين أن كلمة " الكر " : الرجوع... والكرّ: مصدر كرّ عليه يكرّ كرّا وكرورًا وتكرارًا عطف وكرّ عنه : رجع ... وكرر الشيء وكرره: أعاده مرة بعد أخرى... والكرّ: الرجوع على الشيء, ومنه التكرار.[11]

فالتكرار الرجوع مما يذكرنا بالإحالة القبلية؛ وذلك بالرجوع لما سبق ذكره في النصّ- على سبيل المثال – يذكر المتكلم عدة جمل متتالية، وبعد فترة من الحديث يكاد المستمع يصل إلى نسيان ما قيل في أول الكلام، ونجد المتكلم يعود ليكرر بعض ما قاله أولا ليذكر المستمع ويبعث الجملة ويجددها بعد أن كادت تنسى. وهذا التكرار يعد ضربًا من ضروب الإحالة إلى سابق Anaphora؛ بمعنى أن الثاني منهما يحيل إلى الأول.[12]

التكرار هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو الترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصّي بين عناصر النصّ المتابعدة.[13] أو إعادة اللفظ الواحد بالعدد, أو بالنوع, أو المعنى الوحد بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعدا.[14]

فالتكرار فوائده كثيرة منها: (أ) إنعاش الذكرة, (ب) أمن اللبس, (ج) التوكيد, (د) تعدد المتعلق؛ كما له أنماط عديدة منها :

(1) التكرار الكامل؛ هو تكرار الكلمة بنفس شكلها الذي وردت في المرة الأولى , وهو نوعان.

أولها : التكرار مع وحدة المرجع (أي المسمى واحد) ... مثل كلمة (الدّين) و (والإسلام) اللتان ذكرهما الشاعر ثلاث مراتٍ وكلمة (غريبا) مرتين في هذه الأبيات المذكورة أدناها.

بدا ديننا الإسلام في حين ظلمةٍ ** غريبا، لذا كلّ يعزّوينعم

فسوف يعود الدّين بعد تمامه ** غريبا، فطوبى للّذي كان يسلم

أيا أمة الإسلام مالي أراكم ** رقودا، وأعداء السّلام تهجم

وهل فوّضوالإسلام لله ذي الجلا ** ل أم نصروا الدّين القويم وقوّموا

واستخدم كلمة (قومنا) مرتين في البيتين الآتيين:

ألا انتبهوا يا قومنا إن نومكم ** طويل ثقيل ناقض ثم يهدم

ويا استيقطوا ياقومنا في ورائكم ** أعادٍ يرون الحرب سيفا يهرم

كما استخدم كل من فعل (أتونا) في الأبيات الآتية, ثلاث مراتٍ في البيتين الأولين, وكلمة (قنضام) ثلاث مراتٍ في البيتين الآخرين:

أتتنا يهودٌ والنصارى بشرّهم ** أتونا بجمرٍليس تمرًا لتعلموا

أتونا بشيءٍ وهو روثٌ مفضضٌ ** وأغوَوْا كثير الناس ثمّ تنعّموا

أتونا بقنضامٍ لتحديد نسلنا ** وقنضام هذا فيه حينٌ ومغرم

وقنضام هذا لا يعادل عزلَنا ** ولكنّه للمذنبين يعظّم

وثانيها : التكرار مع اختلاف المرجع (أي المسمى متعدد).[15]

(2) التكرار الجزئي : يقصد به تكرار عنصري سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة. وبتعبيرآخر هو: " الاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي word-Stems .[16] ومن ذلك قوله في بعض أبيات هذه القصيدة : (نيام) و (نوّم) , وكذلك كلمة (الأعداء) و (الأعاد) و (مقوّم) و (قويم) و (سلام) و (الإسلام) وهكذا؛ فإن كلّ منها من نفس الجذر اللغوي؛ الأول من (نام) والثاني من (عدى) والثالث (أقام) والرابع من (أسلم).

الترادف:

الترادف أو شبه الترادف : وهو التكرار الذي يختلف فيه اللفظان ولكن المعنى واحد. [17]

الترادف: مأخوذ من الردفة , وردف الرجل وأردفه , أي ركب خلفه. والردف: الراكب خلف الراكب, يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين : الردف ما تبع شيئا فهو ردفه , وإذا تتابع شيء خلف فهو الترادف والجمع الردافي.[18]

وهناك الترادف المطلق، يقع في إحالة التطابق التام أو المطلق بين كلمتين أو أكثر فيما تشير إليه في الواقع الخارجي ؛ والدلالات التي توحيها أيضا بمعنى الاتفاق في المعنى بين كلمتين اتفاقا تاما، وهذا النوع من الترادف نادرالوقوف عليه في أية لغة. ومن هذ النوع (هاتف / تلفون), فاللفظة الأولى عربية والثانية إنجليزية وكلتهما يتفقان في المعنى والمفهوم.[19]

فكلمة نيام / ورقود, وأصحاب / أهل, والسلام / الأمن في القصيدة كلمات مترادفة.

المصاحبة المعجمية :

ويقصد بها تورد زوج من الكلمات؛ وذلك لارتباط إحدهما بالأخرى بعلاقة ما قد تكون التباين وقد تكون الدخول في سلسلة مرتبة ؛ وقد تكون الكل للجزء أو الجزء للجزء. وذكر هاليداى ورقية حسن : هو وجود علاقة معجمية بين اللفظتين وهي علاقة التضاد (OPPOSITENESS).[20]

يكاد الدارسون يجتمعون على أن أول من أشار إلى هذه الظاهرة هو فيرث ؛ لأنه يرى أن العنصر اللغوي عند وضعه في سياقات مختلفة ينعكس معناه، فالمعنى عنده يكون عند استعماله أو طريقة استعماله. ويقصد بها: " الورود المتوقعأو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلائم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوي ما , مثل: البقرة مع اللبن, والليل مع الظلمة". [21]

ومن هنا يبدو أن " المصاحبة المعجمية " هي ارتباط كلمة ما بجموعة من الكلمات وهذه العلاقات التي تربطها جميعا علاقات متعددة منها:

1- التبنين (COMPLEMENTARIES)، وله درجات عديدة حيث قد يكون اللفظين.

(أ) متضادين OPPOSITES, مثل ما قاله الشاعر:

لقد تمكنته موهبته الشعرية ان استخدم كلمات التقابل أو التضاد: نيّام / رقود، أمن / سلم، انتبه / استيقظ، حرب / خوف, قوم / أهل وأصحاب.

(ب) متخالفين ANTONYMS, أو متعاكسين. قال في ذلك :

يمين / شمال، فوق / تحت، الخير/ السوء والشر، الأمن / والحرب والسلام / الخوف، كثير/ قليل، الغواية / والرشد، الجمر/ التمر, الصلح / الجور.

وقد يكون بالإضافة مثلا: ثمارالسلام، / سبل الغواية، / سبل الرشد، / نبال النصارى، أهل السلام، / ثمار الخوف.

وتشير العملية الكشفية للمستوى المعجمي إلى أن هذا المستوى يفتتح أمام القاريء على محورين أساسين يكوّنان المفاصل الرئيسية لهذا النصّ, وينفتح كلّ محور منهما على مجموعة من المعاجم الفنّية الخاصة به.

- المحور الأول: محور الأحزن والهموم ودموع العين بسبب ما يحدثه الناس في هذا الدين، وما يعقب ذلك من المشاعر والعواطف والانفعالات.
- المحور الثاني: محور هجوم الأعداء ومكائدهم ومحاولة إشاعة الفساد في هذا الدين.

ويتشكّل المحور الأول من المعاجم الفنّية الآتية:

- المعجم الفني الأول: دموع من العين وكلّ ما قد يؤدي إلى ذلك من أسباب الحزن والألم.
- المعجم الفني الثاني: تنبيه المسلمين على نومهم الغطيط وتشجيعهم على مواجهة أعداء الإسلام بكلّ ما أعطوا من قوة وبسطة.
- المعجم الفني الثالث: ترغيب وتحريض المسلمين على القيام بحقوقهم الجهادية, وعدم الفرار منها بوجه من الوجوه.
- المعجم الفني الرابع: توضيح مدى ما بلغه أعداء الإسلام في محاربة هذا الدين الحنيف.

كما يتصور المحور الثاني على المعاجم التالية:

- المعجم الفني الأول: إحاطة الكفار بالمسلمين من كلّ جانب, محولة إشاعة الفاحشة والفساد في دينهم.
- المعجم الفني الثاني: الاعتداء على المسلمين والإضرر بهم, وشدّ هجمات لا حد لها تجاههم.
- المعجم الفني الثلث: مواجهة المسلمين بكلّ ما يمتلكون من أسلحة من قنبلات وغيرها.

الخاتمة

توصلنا من خلال ما تقدم أن الشاعر استطاع أن يوظف المفردات اللغوية توظيفا مناسبا، وقد وفق إلى مدى بعيد في اختيار الألفاظ وانتقائها مع اتحاد بعضها في الحقول اللغوية. وقد أدت تلك الألفاظ معاني رائعة دقيقة، يهيمن على تحديدها السياقات بأنواعها. وثبت في النص الشرعي هيمنة الاسم على الفعل، والمعرفة على النكرة، وهيمنة الأفعال الماضية والمضارعة على أفعال الأمر مما يثبت دلالة واضحة أن تجربة الشاعر تجربة يقينية بعيدة من الريب والتخمين فيما كان يدعو ويحرض إليه. وأخيرا يقترح هذا المقال أن يكثر الباحثون والمتخصصون رغبتهم ويهتموا اهتماما بالغا بدراسات معجمية في النص لما لها من أهمية كبرى في الحقول المعجمية، وأن يسلطوا الضوء على أهمية كبرى في دراسة المستوى المعجمي في النص شعرا كان أو نثرا لإبراز جماليات النص؛ لأن دراسة المستويات اللغوية توضح ظواهر النص الجوهرية.

الهوامش

1- مفهوم المستوى المعجمي: (2014) .www.lahododi.blogspot.com

2- دراسة في الحقول المعجمية .Error! Hyperlink reference not valid

3- جبريل، عبد الله سليمان، ديوان التحفة الكمالية في الأشعار المثالية، إلورن، مطبعة الهدى، ط3 , ص77.

4- المرجع نفسه ص27.

5- خفاجي، محمد عبد المنعم، (1985) الأدب العربي الحديث، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1, ص37.

6- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، لبنان، دار صادر بيروت, ج8، ص91، مادة: (دمع).

7- المرجع نفسه, ج11, ص307.

8- المعجم الوسيط، مادة: رقد.

9- المرجع السابق, مادة: لقب.

10 -المرجع السابق, مادة: أحاط.

11- المرجع السابق, مادة: النبل.

12- ابن منظور, أبو الفضل جمال الدّين(730-711ه), لسان العرب, ج 5,ص3815. مادة:(كرر)

13- الشامي، محمد أشرف عبد العال، معايير النصية دراسة في نحو النصّ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة القاهرة، كلية العلوم، قسم النحو والصرف والعروض, ص86.

14- المرجع نفسه. ص86.

15- بودوفو، خليل الله عثمان، السبك المعجمي في ديوان السباعيات لعيسى ألبي أبوبكر دراسة تحليلية نقدية، ص:358.

16- محمد أشرف عبد العال الشامي :معايير النصية دراسة في نحو النصّ, بحث مقدم لنيل درجة الماجستير, جامعة القاهرة, كلية العلوم, قسم النحو والصرف والعروض, ص86.

17- المرجع السابق, ص89.

18- المرجع السابق, ص90.

19- خليل الله عثمان بودوفو: السبك المعجمي في ديوان السباعيات لعيسى ألبي أبوبكر دراسة تحليلية نقدية، ص:361.

20- المرجع السابق, ص362.

21- محمد أشرف عبد العال الشامي :معايير النصية دراسة في نحو النصّ, بحث مقدم لنيل درجة الماجستير, جامعة القاهرة, كلية العلوم, قسم النحو والصرف والعروض, ص95.

22- نصيف محمد الخفاجي, 2014م, ص11

Reference

Mafūm al Mustawa al Mu'jamī (2014) www.lahododi.blogspot.co

Dirāsatun fil Huqūl al Mu'jamiyyah (2012) www.diwanalarab.com

Jibreel, Abdullah Sulayman, Diwān Tu'fat al Kamāliyyah fil Ashār al Mithaliyyah, matbahat al Hudah, Tab'at thalithah

.Khafaji, Muhammad Abdul Munim (1985) tab'at al ulā

Ibn Madhur, Abul Fadl jamāluddeen Muhammad, Lisan al Arab, Bayrūt, Dar sādir, juz'u thalith

Ash shami,, Abdul Ālì Ashraf Muhammad, Ma'āyirun Nasiyyah Dirasatun fin Nahwi wasorf Qism al ulūm, Jāmiat al Qāirat, linayl Darajal Majetir

Gbodofu, KhalilulLah Usman, Assabk al Mu'jami fi Diwan Assubāiyyat li Isa Alabi .Abubakar: Dirāsatun tahliliyyatun Naqdiyyah

.